من الحرمان والعزل النظريين ، اذ انها تشي بالسمة التناقضية لمجتمعها ، لذلك كان على النظرية البرجوازية ان تطمس هذه « الوشاية » بطريقة سهلة : نسيان السؤال او القاؤه في الظل او ما يشبه الظل · تركت النظرية البرجوازية الحاضر ، و قاربت ذلك ، وعادت الى الماضي تستعيده انتقائيا ، فاستعملت بعض عناصره لا للبحث عن الاجابة ، بل لتستخدمها في المعركة الايديولوجية ضد ثقافة العصور الوسطى · ايدولوجيا صاعدة لا تستعير الماضي الا لتلقي عليه ظلها فتنتجه كجزء من آلتها الايديولوجية ، لذلك كان من المنطقي ان تطرد هذه الايديولوجيا جميع العناصر التي لا تلعب دورا ايجابيا في هيمنتها الطبقية ، ووفقا لهذا المنطق اقصت نظرية « الفن » البرجوازية جميع العناصر الادبية التي تتضمن ابعادا عامية وشعبية · وكما نعلم، فان الرواية ترتبط بالثقافة « الحكائية » Narrative للعصور الوسطى ، وان الشكل الروائي قد ولد نتيجة انحلال الثقافة « الحكائية » للعصور الوسطى واقتحام العناصر الشعبية والبرجوازية لهذه الثقافة ·

لم تمتلك نظرية الرواية قاعدة لها الا عن طريق الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، التي طرحت الخطوط العامة لدراسة جمالية عامة للرواية ، لتدخلها بعد ذلك في نسق الاشكال الجمالية ، يضاف الى هذا التطور الحثيث الذي اتسمت به ممارسات التنظير الذاتي للروائيين انفسهم ، الذي نما وتطور واخذ دلالة نظرية عميقة ( والتر سكوت ، غوته ، بلزاك ··· ) · مع ذلك فان نظرية الرواية لم تأخذ حيزها الحقيقي الا مع مجيء النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وبعد ان اكدت الروايةذاتها كشكل تعبير نموذجي للمجتمع البرجوازي · لكن هذا « الحيز الحقيقي » لم يبلغ مداه النظري ، طرح السؤال دون ان يعثر على الجواب الموائم ، وبقيت علاقة الرواية بنظريتها محكومة بتطور لا متكافىء ، فلم تستطع المساهمات النظرية البرجوازية ان تشرح سبب استقلال الرواية كنوع ادبي ، ولا تمايزها عن الإشكال الملحمية الاخرى ، كما عجزت عن ايضاح خصوصيتها المميزة لها كنوع أدبي ، وتمايزها عن أدب التسلية البسيط ·

## الملحمة والرواية

عندما يدعو هيجل الرواية « ملحمة برجوازية » فانه يطرح في نفس الوقت مسألة جمالية وتاريخية ، ويشير الى صلات القرابة التي تربط نوعا ادبيا بآخر ، أو بشكل ادق الى صلة التناظر Analagie التي تربط هذين النوعين الادبين بزمانين مختلفين تاريخيا · فالرواية شكل جديد للملحمة يتوافق مع زمن جديد ، او هي نظير الملحمة في زمن لم يعد يسمح بانتاج الملحمة ، فهي ( اي كرواية ) تحمل الصفات الجمالية العامة للملحمة بعد ان اخضعت لتعديلات ضرورية فرضها العصرالبرجوازي وهكذا تصبح نظرية الرواية مرحلة تاريخية في النظرية العامة للفن الملحمي العظيم ، وتصبح الرواية بدورها احد المركبات في نسق الانواع الادبية ·

أقام هيجل نظريته فيالرواية انطلاقا من التعارض التاريخي بين زمنين ، زمن الملحمة وزمن الرواية ، أو عصر الشعر وعصر النثر · وبدون ان يكتشف الاسس الاقتصادية الموضوعية الموافقة لهذين الزمنين ، وجد ان **الملحمة مرتبطة بمرحلة بدائية من التطور الانساني** · الملحمة هي النوع الادبي لزمان لم تكن فيه حياة المجتمع قد اخضعت بعد للقوى الاجتماعية التي جاءت من المجتمع ثم تمايزت عنه وحكمته ، انها « فن » عصر البطولة ، حين كانت حياة الانسان عفويته ، وعفويته حياته ، وحين كان الانسان لا يعي ذاته الا جزءا من كلية جوهرية · اذا كان هذا الزمان المتناغم هو زمان الملحمة فلا بد